جـــان لـوبز

حرب البقرة الصهباء

تقديم وترجمة: أحمد أبو ملحم

نشرت مجلة Science et Vie Junior (dossier hors serie) الفرنسية في العدد التاسع والعشرين في تموز ١٩٩٧ ملفاً تضمَّن عدة مقالات تناولت التوراة، لا من حيث هو كتابُ صلوات وأعاجيب وأحلامٍ ولعنات وآمال ــ فمن هذه الوجهة ليس للعلماني ما يقوله ــ بل من حيث أنّ التوراة هو أيضاً كتاب مليء بالحوادث التاريخية: مليء بتاريخ الحروب، والتحالفات، والزعماء، والأعمال، والهزائم، والانتصارات. من هنا يطرح المؤرخون وعلماءُ الآثار، منذ مائة وخمسين عاماً، السؤالَ نفسه: هل التوراة مرشدٌ موثوق ينطوي على معلومات حول كيفية عيش العبرانيين وجيرانهم المصريين والفلسطينيين والبابليين والفينيقيين في القديم؟

وقد تصدَّر المجلةَ مقالٌ كَتَبَه جان لوپز Jean Lopez بعنوان: «حرب البقرة الصهباء». ولوپز مراسل المجلة في فلسطين المحتلة. ولأهمية المقال قمتُ بنقله إلى العربية ليطّلع الرأيُ العام اللبناني والعربي والإسلامي على ما يدور في ذهن العدوّ.

يعتقد البعض أن في الحديث عن بقرة صهباء وَرَدَ ذِكْرها في سِفْر الأعداد، وهي تَشْغل اليوم بالَ الصحافة الصهيونية والغربية، إضاعةٌ للوقت وللجهد، لأنّ الأمر لا يتعدى بالنسبة إلى العلمانيين نطاقَ الأسطورة والخرافة. وأما بالنسبة إلى المتدينين المسيحيين فالأمر لا يتعدّى كونه نصوصاً رمزية يتجاوزون في فهمها حرفيتها، لأنها تتضمن الأذيّة لأدنى المشاعر الإنسانية والمثل والقيم الخلقية: ففي بعضها أوامرُ إلهيّة بسفك دماء الأطفال والنساء والطاعنين في السن، وأخبارٌ عن أنبياء يخالفون أوامر الله ونواهيه ويقترفون آثاماً يَنْدى لها جبينُ البشرية في أيّ مجتمع مهما كان حظُّه من التطور والحضارة والإيمان. وأما بالنسبة إلى المسلمين فهي نصوص محرَّفة، وبالتالي فقدتْ قدسيَّتَها وقيمتها. إذن ما هو مبرّر الاهتمام بها؟

نحن نرى أنّ هذا الاعتقاد لا يلغي الآثار المحتملة لتطور «قضية البقرة الصهباء» إلى حرب مدمّرة؛ إذ ليس المهمّ ما يعتقد به العلمانيون من أسطوريّة هذه النصوص، ولا ما يعتقده المؤمنون المسيحيون من رمزيتها، ولا ما يعتقده

المسلمون من تحريفيتها، وإنما المهم هو أن هناك جموعاً تؤمن بهذه النصوص وتَقْبلها بحرفيتها وتعمل بمقتضاها. ولو وقف الأمر عند هذا الحدّ لهان، ولكنه تجاوزه إلى مرحلة خطرة. فهذه الجموع اغتصبتْ أرضاً، وطردتْ شعباً، وأقامتْ دولةً دَيْدَنُها العدوانُ والتوسُّع على حساب جيرانها، وهي ما تزال ترفع شعاراً على باب مجلس نوابها «الكنيست» يقول: «حدودُك يا إسرائيلُ من الفرات إلى النيل»... أي إن هذه الدولة ترغب عندما تسنح الفرصةُ لها، ويتوافر الشعبُ لملء الأرض، بضم لبنان وسوريا وكامل فلسطين والجزء الأكبر من مصر. أضفْ إلى ذلك أن هذه الدولة استطاعت من خلال نفوذها على الولايات المتحدة الأميركية أن تسخّرها لغاياتها وأهدافها وتستعملها لتحقيق مشاريعها العدوانية والتوسعية. ورب قائل يقول: العكس هو الصحيح؛ الغرب، وعلى رأسه أميركا، هو الذي خلق إسرائيل خدمةً لمصالحه في نهب خيرات الوطن العربيّ وإبقائه على ضعفه وتخلّفه. ولكنْ مهما يكن الأمر فإنّ مصالح الطرفين تلتقي وتتساند لبقاء الوطن العربي مقسَّماً وضعيفاً ومتخلفاً. من هنا تأتي أهمية المقال؛ ذلك لأنه يلقي الضوء على تفكير الصهاينة، وقد كُتب بقلم غربي تحدَّث إلى الغرب من على منبر غربي.

ماذا يعني حديث البقرة الصهباء؟

يرسم حديث البقرة الصهباء الشريعةَ التي أمر بها الربُّ موسى وهارونَ عندما قال: على بني إسرائيل أن

يأتوا ببقرة تُذبح وتُحرق ويُخلط رمادُها بماء معين يُتَطَهَّرُ به من النجاسة والخطيئة في اليوم الثالث وفي اليوم السابع. ومن لم يَتَطَهَّرْ بهذا المزيج في هذين اليومين لا يَطْهُر، ومن لا يَطْهُر يخرج من إسرائيل؛ لأن من لم يطهُر نَجِسٌ ونجاسته باقية فيه.

ماذا يتبادر إلى الذهن لدى سماع حديث البقرة الصهباء؟

يريد الصهاينةُ الإيحاءَ بأنّ معجزةً جديدة تكاد تتحقَّق. فهم يقولون: لأول مرة تولد على أرض إسرائيل بقرةٌ صهباءُ، منذ ألفي سنة؛ وهم يضيفونها إلى «معجزة» العودة إلى أرض الميعاد.

كما يريد الصهاينة الإيحاءَ بأنّ تطهير الأرض المقدسة من كل نجاسة مرهونٌ بطقوس ذبح البقرة الصهباء عندما تبلغ الثالثة من عمرها، وحرقها، ورشّ هذا الرماد الممزوج مع الماء على المتطهرين. وهذا يعني إخراجَ كلّ شخص لم يتطهر أو لا يريد أن يتطهّر، سواء أكانت هذه النفسُ «إسرائيلية» تعارض هذه الأصولية، أم كانت «دخيلةً» على بني إسرائيل. والترجمة العلمية: إخراجُ مَنْ تبقى من عرب فلسطين؛ وربّما تكون الهجرةُ القادمةُ المفروضة أشدَّ قساوة من هجرة نكبة ١٩٤٨!

كما يتبادر إلى الذهن أنّ ظهور «البقرة الصهباء» يستتبع تطبيقَ ما تبقى من شريعة موسى. ويعني ذلك منعَ النجاسة عن مسكن الرب ومقدس الرب [القدس]. والترجمة العملية تقضي بضرورة كشف هيكل سليمان، وذلك بمتابعة الحفريات وإزالة المنشآت الإسلامية والمسيحية القائمة والحاجبة لهذا الهيكل.

إنّ الصهاينة، سواء اعتقدوا بحرفية هذه النصوص أم تذرعوا بها، يملكون القدرةَ على التنفيذ والقدرةَ على إقناع القوى العظمى بصحة ما يعتقدون به، أو يتذرعون به. لقد أقنعوا الغربَ بضرورة طرد شعب من أرضه، وإعطاء هذه الأرض لشعب آخر. وأقنعوا الغرب بأنهم عندما يسفكون دمَ الأطفال والنساء والشيوخ إنما يدافعون عن أنفسهم، في حين أنّ الفلسطينيين مع من يؤيدهم هم «إرهابيون» يجب استئصالهم عندما يدافعون عن أنفسهم. كما أقنعوا العالم بضرورة مساعدتهم على امتلاك أحدث الأسلحة وآلات الدمار الشاملة، في الوقت الذي حُرِّم على غيرهم امتلاكُ أشباهِ هذه الأسلحة.

*

ينذر ظهور «البقرة الصهباء» بانتهاء مرحلة من الصراع مع العرب على أرض فلسطين، وبدايةِ مرحلة جديدة. لقد حدَّد بعضُ الصهاينة، ببلوغ البقرة الصهباء السنةَ الثالثة من عمرها في العام ٢٠٠٠ مع نهاية القرن العشرين، الحدَّ الفاصلَ لكشف هيكل سليمان وإعادة بنائه وهدم كل ما يعوق ذلك.

كما حدَّد بعضُ الصهاينة بهذا التاريخ موعداً آخر لتطهير المجتمع الصهيوني من كل نجاسة، والإطباقِ على كامل التراب الفلسطيني بما فيه القدس، وطردِ كل «الغرباء» منها.

ا.ب.م.

حرب البقرة الصهباء

بقرة صهباء ولدتِ الآن (آذار ١٩٩٧) في أرض إسرائيل، هي الأولى منذ ألفيْ سنة. واستناداً إلى التوراة، يرى اليهود المتطرفون أنّها تمهيد لإعادة بناء هيكل سليمان. وتحت خطر اندلاع حرب دينية، هذه نزهة على شفير الهاوية.

هي هناك، خلف قضبان من الألمنيوم، صغيرة جداً، ملطّخة. رداؤها أسمر يضرب إلى حمرة، ويختلف عن كسوة زميلاتها السوداء والبيضاء في الإصطبل. لها من العمر عشرة أشهر [نُشِر المقال في تموز ١٩٩٧ ـ المترجم] تستجيب لاسم «زليل» (في العبرية: علامة موسيقية). نحن في مدرسة دينية للزراعة، في «كفار حسديم»، وهي قرية صغيرة على بعد اثني عشر كيلومتراً من «حَيْفا» في شمالي إسرائيل. وُلِدتْ «زليل» هنا، بتلقيح اصطناعي، من ثور سويسري وبقرة إسرائيلية. تقولون: أية سخافة! نعم، خلا كون «زليل» الصهباء برميلَ بارودٍ حقيقياً، تتفجر منه حربٌ دينية مرعبة بين اليهود والمسلمين.

بدأ كلُّ شيءٍ في السادس عشر من شهر آذار ١٩٩٧، عندما أتى خمسة وعشرون حاخاماً من ذوي الخبرة يتفحصون «زليل» بالمجهر. ولتكون عند حسن ظن المتديّنين، تبدو البقرة المجترّة في رداء أصهب، خلا خصلة شعر صغيرة من الشعر الأبيض يعترف يهودا اتزيون Yehudah Etzion بأنها تُزعجنا قليلاً، وهو الذي يرافق الحاخامين: بمسدس في متناول يده، وقلنسوةٍ حُبكتْ بالصنّارة، لكنّ الحاخاميْن يثقان بأنّ الأمر يتعلق بالعِجْلة المقدّسة الصهباء التي يتحدث عنها السِّفْرُ الرابع من التوراة [سفر الأعداد]. إنّها لمعجزة حقيقية.

لماذا هي معجزة؟

يجيب يهودا اتزيون: «هذا الأنموذج من الحيوان ضروريٌّ لشعيرة على هذا القدر من الأهمية. وعندما تبلغ البقرةُ الثالثة من عمرها، يُضحّى بها وتُحْرَق، ويضاف رمادُها إلى مياه النبع، فيتحوّل إلى عجينةٍ تستعمل في احتفالِ عيد الطهارة لدخول المعبد [معبدِ سليمان، أو هيكل سليمان]. هذه الشعيرة تمهّد لعودة اليهود إلى جبل الهيكل في القدس. إنها لمأثرة كبيرة لجيلنا: إعادة بناء هيكل سليمان».

لقد لاحظ الحاخامون أنّ العِجْلة الصهباء لم ترَ النور على أرض إسرائيل منذ خراب الهيكل على يد الرومان في العام السبعين بعد الميلاد. ويضيف يهودا اتزيون: «ألفا سنةٍ مرت ونحن ننتظر إشارةً من الله لإعادة بناء الهيكل، وها هو يرسلها إلينا الآن».

منع الصلاة

يُعتبر يهودا اتزيون الرجلَ الأخطرَ في إسرائيل. ففي العام ١٩٨٤ أوقفه رجالُ الأمن في القدس، وكان يهمّ بتفجير قبة الصخرة، الجامع الذهبيِّ السطح، الذي يُعتبر ثالثَ الحرمَيْن في الإسلام، ليَخلي المكان ـ هكذا، وببساطةٍ تامةٍ ـ لهيكل أحلامه. سبعة أعوام من السجن، لم تَثْنِ اتزيون عن نشاطاته الدينية، وهو اليوم القدوة للحركة المتطرفة Hayvek Ayam. وفي آذار ١٩٩٧، أوقف رجالُ الأمن ستةً من أصدقاء يهودا اتزيون بينما كانوا على وشك الدخول للصلاة على جبل الهيكل.

تتساءلون: «أن نُصلي، فأين هو الضرر؟». لا ضرر، غير أنه ممنوع. ولكي نفهم هذا الموقف الغريب، نعود إلى سنة ١٩٦٧، فبعد انتصار باهرٍ احتلّ الجيشُ الإسرائيلي القدسَ بكاملها، ولم يكن للقائدُ موشي دايان آنذاك سوى هدفٍ واحد: تجنّبوا أن تتحوّل هذه الحربُ العربية الإسرائيلة الثالثة إلى حرب دينية؛ وبكلّ سخاء خَصّ [دايان] المسلمين وحدهم بإدارة الحرم القدسي حيث يقوم الأقصى وقبةُ الصخرة (أو جبلُ الهيكل بالنسبة إلى اليهود). وقد تركتْ اتفاقاتُ سنة ١٩٦٧ لليهود حقَّ زيارة الحرم القدسي دون حق الصلاة فيه. ويراقب رجالُ الأمن الإسرائيليون منافذَ الأسوار، ويسيطر رجالُ الأمن المسلمون على النظام في الداخل: يتدخلون حالما تهمّ شفاةُ زائرٍ يهودي بأقلّ صلاة. ولم يكن لهذا المنع، لزمن طويل، نتائجُ خطيرةٌ، لأنّ الحاخامين يمنعون اليهود أن يطأوا الحرمَ القدسيَّ لسبب بسيط : وهو أنهم لا يعرفون أين بُني هيكل سليمان؟ وأين مركزه: قدس الأقداس؟

هناك احتمال كبير أن تُدنِّس هذه الفسحة المقدّسة عندما تطأها القدم عن غير قصد. لكنْ منذ بضعة سنوات، يتزايدُ عددُ الحاخامين الذين يعتقدون أنّ قدس الأقداس هو تماماً تحت المسجد حيث قبة الصخرة. إذن رفع كثيرون منهم الحرم، خلا عن مسجد الصخرة وجوانبه. فاستفاد المتطرفون فوراً، ودانوا منعَ الصلاة المعلن منذ سنة ١٩٦٧.

ساحة لكل المخاطر

إنّ إحدى عُقَدِ المشكلة، علاوةً على التنوع الديني ـ السياسي الصاعق، هي عقدة أثرية. فماذا يوجد تحت الحرم القدسي؟ ماذا نجد تحت الرباعيّ الأضلاع: خمسمائة متر بثلاثمائة في وسط القدس؟ منذ مائة وخمسين عاماً، ثمة علماءُ آثار ومغامرون من كل جنس يريدون التوجه إليه لمشاهدته. أما أسفَلُهُ فهو قالبُ جبنٍ أصفر ذو ثقوب، ثلاثون خزاناً حُفِرَتْ لجمع المياه من الآبار والأنفاق بكميات كبيرة. اجتاز الانكليزيان: شارلز وارن Charles Warn ومونتاجيو پاركر Montague Parker النفق في القرن الماضي. فبأية عصبية حَفَرا وزَحَفا وسَبَرا! إذن تخيّلوا: هل تمّ الاستيلاءُ على أطنان الذهب الثلاثين التي هي كنزُ سليمان؟ وهل اكتُشِفتْ بعضُ الأشياء التي تعود إلى زمن السيد المسيح؟ وهل...؟ وهل...؟.

ثمةٌ شيء أكيد؛ لقد عانى وارن وباركر المشكلةَ نفسها: وهي وشوشةٌ اجتاحتْ شوارعَ المدينة العربية القديمة، وتضخّمتْ وتفلّتتْ من المراقبة، ورمتِ الناس في شرور الرعب: «لقد أتى الكفار لنسف جامع الصخرة! هُبّوا إلى السلاح!». وكان على شارلز وارن مثلاً أن يعمل ليلاً ويُغلِّف معاولَهُ بِخِرَقٍ ليخفِّف من الضجّة، وكان عليه باستمرار أن يتحاور بقلقٍ مع بعض السلطات الإسلامية. أما بالنسبة إلى مونتاجيو باركر، المندهش تحت القبة بشبه عمودية الصخرة التي انطلق منها محمد نحو الله [الإسراء والمعراج]، فلقد نجا بصعوبة من إعدامٍ لنشيٍّ*.

ولم ينتهِ الأمر. بل دار كلٌّ علماء الآثار الإسرائيليين حول رحاب الحَرَم تشدّهم ضخامةُ الرِّهان. ويا له من رهان: إيجاد هيكل سليمان! فنَقَّب كلٌّ من إيچال شيلوه Ygal Shiloh، ونَهَام أڤيغاد Naham Avigad، وبنيامين مازار Benjamin Mazar، كي لا نذكر غيرهم، في محيط الجبل المقدس، ولكنهم لم ينقّبوا في أسفله مباشرة قطُّ. إنّه لخطر داهم! والسلطات الإسلامية لم تعطِ موافقتها على الأمر بتاتاً.

من جهة أخرى بمَ يفكر المسلمون؟

يجيب عدنان الحسيني، المدير التنفيذي للوقف، وهو الهيئة التي تدير رحاب الجامعَيْن: «رحاب الحرم أُعطيتْ للمسلمين من قِبل الله. نقطة وانتهى الأمر! هذا ما جاء في القرآن». بهذا الرد يُفْحِمنا باستناده إلى القرآن الكريم. «إنّه مكان للعبادة، وليس مختبراً! لا مجال للتنقيب! ثمّ ليست هناك أيةُ إشارة في الإسلام إلى أيّ هيكل يهودي في رحاب الحرم. أقولها جَهْراً: المتطرفون اليهود خطر دائم لأنهم أقسموا على تدمير مسجد الصخرة. وستكون نتائجُ عملٍ كهذا مرعبة».

تاريخ صراع

«متفجرة، بركان لأقل حادث يثير الريبة ويضرم النار»؛ هذا باختصار رأيُ ناداف شراغي Nadav Shragai، مراسلُ صحيفة **هآرتز** الإسرائيلة ومؤلِّفُ كتابٍ** حول الصراع على جبل الهيكل، ذكر فيه الأحداث التاريخية التالية:

ـ في سنة ١٩٦٩ أشعل سائحٌ أوستراليٌّ مهووسٌ النار في المسجد الأقصى، فردّ المسلمون باضطراباتٍ، واعتُقِل الفاعل على أثرها.

ـ بين سنتَيْ ١٩٧٨ و ١٩٨٤، أفشلتْ قواتُ الأمن الإسرائيلية أربعَ محاولاتٍ على الأقل لمتديِّنين يهود لتدمير الجامعَيْن وإعادة بناء الهيكل. وفي واحدةٍ منها زُرعت مئةُ كيلوغرامٍ من المتفجرات بجانب جامع الصخرة.

ـ في ٣ تموز ١٩٨٨، ابتدأتْ حفرياتٌ أثرية إسرائيلية في أسفل جبل الهيكل. ولدى أولى ضربات المعول، دقّ المؤذِّنون ناقوسَ الخطر. واستحوذت الإشاعةُ على الناس. وكان هدف الحفريات هو لغم الأرض من الأسفل. وقد حَصَدَتْ الاضطراباتُ عشراتِ الجرحى.

ـ في تشرين الأول ١٩٩٠: سرتْ إشاعة من جديد بأنّ جماعة من اليهود المنتمين إلى الجمعية المتطرفة: «وفاء لجبل الهيكل» تُزمع إقامة الصلاة بالقوة في رحاب الحرم. وخلال المواجهات التي تلت، قُتِل سبعةَ عشر عربياً برصاص الجنود الإسرائيليين.

ـ في ٢٤ أيلول ١٩٩٦: حَدَثَ الأسوأ. فقد فتحت السلطاتُ الإسرائيلية النفقَ الأثريّ الذي يمتد على طول رحاب الحرم المفضي ببابه الجديد إلى قلب الحيّ العربي. وكان المقصود، كما أكدت السلطات، أن يتجنب سبعون ألف سائح يؤمّون هذا المكان في كل سنة، القيامَ بنصف دورة على امتداد خمسماية متر. لكن الريبة كانت ثقيلة جداً: «هم» ما يزالون في الأسفل! الجيش يطلق النار، واضطرابات شاملة تعمّ وتحصد ستة وسبعين قتيلاً (اثنيْن وستين فلسطينياً، وأربعة عشر جندياً إسرائيلياً).

سرّ جبل الهيكل

وبالعودة إلى علم الآثار: هل يُعرف أين يقع هيكل سليمان؟ ليس لدان بهات Dan Bahat، عالمِ آثار مدينة القدس، أدنى شك في أنّه يقع «تحت مسجد الصخرة، بالتأكيد! إنّ أقدم النصوص التي نعرضها تقول ذلك. وكل تقاليد الشعوب السامية تفرض أن يقام الهيكلُ على القمة العليا بحسب المبدإ الذي لا يخطئه المؤرخون: كلما ازدادتْ قدسيته علا مكانه. والحال أنّ النقطة العليا في رحاب الحرم ليست سوى صخرةِ محمد الشهيرة، التي بني حولها الجامع».

لكنّ المهندس توڤيا ساچيڤ Tuvia Sagiv*** في مكتبه الضيق في تل أبيب، يعلن أنه لا يوافق على هذه الفكرة. سبعة أعوام بأيامها ولياليها قضاها هذا الرجلُ البالغ من العمر خمسين عاماً في أبحاث مستفيضة، يفتش علّه يجد ثقباً في سرِّ جبل الهيكل! «لا شيء يثبت النظرية القائلة بأنّ رحاب الحرم الحالي من عمل هيرود Hérode. واستنتاجاتي المدعَّمة بصور أشعة ما تحت الحمراء، تَدْحض اعتقادات اليهود طوال

---

* ـ لنش: قاضٍ أميركي، كان يحكم بالإعدام دون سند قانوني.

** ـ ناداف شراغي: **جبل البلبلة**، طبعة كاتر، القدس. ولم يترجم الكتاب إلى الفرنسية.

*** ـ يمكن أن تجدوا كل مستندات توڤيا ساچيف على الانترنت على العنوان التالي: 100264.1144 @ Computer serve.COM.

عدة قرون. هذا رأيي، أنا الذي تلقيتُ تربية دينية صارمة. والاستنتاجات الثورية هي: الأمبراطور الروماني هارديان Haridien هو من بَنَى رحاب الحرم حوالي سنة ١٣٥ بعد السيد المسيح، حيث أعاد ما بناه هيرود وأضاف إليه كثيراً. وبنى هيكلاً لجوبيتر. وعلى هذا الهيكل الروماني بنى المسلمون مسجد الصخرة، بعد خمسماية سنة. وبالنسبة إلى هيكل هيرود فهو موجود في المكان المعروف بعين القَدْس، بين مسجد الصخرة والمسجد الأقصى، وبقاياه رُدمتْ على عمق ستة عشر متراً تحت المستوى الحالي للحرم».

انطلاقاً من هنا، نصل إلى نتيجتين:

الأولى أنْ لا حاجة إلى الحفر بغية إيجاد أساسات هيكل هيرود. وتبعاً لتوقيا ساچيف «فهي موجودة في ثلاثة خزانات طبيعية ضخمة عاينها شارلز وارنر في القرن الماضي». والنتيجة الثانية هي أنّه لمّا كانت بقايا الهيكل في الأسفل، تحت سطح الأرض، فإنّ «هناك إمكانية لقسمة جبل الهيكل سلمياً بين اليهود والمسلمين، فيقيم المسلمون الصلاة في الأعلى كما هو الحال الآن، ويقيم اليهود الصلاة في الأسفل. إنّه تعايش أفقي بصورة ما».

مسألة البقرة الصهباء

في الوقت الحاضر، رُفِضَتْ أفكار توقيا ساچيف من قبل علماء الآثار، وأما البلبلة حول جبل الهيكل فلسنا على قاب قوسين أو أدنى من جلائها. ليس هناك تنقيبٌ ممكن؛ المسلمون يتشبثون بموقفهم مستندين إلى حقهم في النَّفَق؛ والمتطرفون اليهود يتحيَّنون الفرصة لنسف الجامعَيْن، وولادة البقرة الصهباء في كفار حسديم قد تعطيهم الذريعة. ما يتمناه نداف شراغي هو: «أن تعالج مسألة البقرة برويّة». ويصل الأمر بدايڤيد لَنْدو David Landou محرر صحيفة **هاآرتز** أن اقترح قتلَ الحيوان لتجنّب كارثة في العام ألفين، موعدِ الضحية المرتقبة».

لكنّ الحنكة السياسية لغالبية الحاخامين تستطيع التغلب على التعصّب الديني. فقد أدلى الحاخام شماريا Shmaria، المسؤول عن البقرة الصهباء، بتصريح مدوٍّ قال فيه: «لستُ على يقين أن 'زليل' هي الحيوان المناسب: هل كساؤها حقاً هو الأصهب الذي تتحدث عنه التوراة؟ أضفْ إلى ذلك أنّه يجب على رجالِ دينٍ طاهرين أن يقدِّموا التضحية. أين هم؟ أيُّ جنون سيقرّر على عَجَلٍ إعادةَ بناءِ هيكل سليمان بإثارة حرب مع المسلمين؟ على الشعب اليهودي أن يكون مستعداً روحياً، وهذا قد يتطلب قروناً».

ولنذْهبْ أبعد من ذلك بقليل في التفاؤل: كثير من الأبقار الصهباء يحتمل أن تنتظر طويلاً مرورَ قطار التاريخ.

ملحق

البقرة الصهباء

(كما في سِفر الأعداد، الفصل التاسع)

كلَّم الربُّ موسى وهارونَ قائلاً، هذا رسم الشريعة التي أمَر الربُّ بها قائلاً: كلِّمْ بني إسرائيل أن يأتوك ببقرة صهباء صحيحة[١] لا عيبَ فيها ولم يُرفع عليها نيرٌ، فتدفعونها الى العازار الكاهن فيُخرجها الى خارج المحلة وتُذْبَحُ أمامه. فيأخذ العازار الكاهنُ من دمها بإصبعه، وينضحُ[٢] إلى قُبُل خباء المحْضر من دمها سبع مرات. وتُحرَق البقرةُ أمام عينيه، جلدُها مع لحمها ودمها وفرثها. فيأخذ الكاهنُ عودَ أرْزٍ وزوفى وصبغَ قرمزٍ، ويُلقي ذلك في وسط حريق البقرة. ثم يَغْسِلُ الكاهنُ ثيابَه ويَرْحَض[٣] بَدَنَه بالماء، وبعد ذلك يدخل المحلةَ ويكون الكاهنُ نجساً الى المغيب. والذي يحرقها يغسل ثيابه بالماء ويرحض بدنه بالماء ويكون نجساً الى المغيب. ويجمع رجلٌ طاهرٌ رمادَ البقرة ويضعه خارج المحلة في موضع طاهر ويكون محفوظاً لجماعة بني إسرائيل لأجل ماء النَّضْح. إنها ذبيحة خطّاء[٤]. والذي يجمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجساً الى المغيب، فيكون ذلك، رسمَ الدهر، لبني إسرائيل وللدخيل النازل فيما بينهم. مَنْ لمس ميتاً مّا من الناس يكون نجساً سبعةَ أيام. ويتطهر بهذا الماء في اليوم الثالث وفي اليوم السابع فيطهُرُ، وإنْ لم يتطهر في اليوم الثالث وفي اليوم السابع فلا يَطْهُرُ. كلُّ من لمس ميتاً جثةَ إنسان ميتٍ ولم يتطهر فقد نَجَّسَ مسكنَ الربِّ[٥] فتُقطع تلك النفسُ من إسرائيل[٦] إذ لم يُرَشَّ عليه ماءُ النَّضْح فهو نَجِسٌ ونجاستُهُ باقيةٌ فيه. هذه هي الشريعة: أي إنسان مات في خيمة، فكلُّ مَنْ دخلها وكل ما فيها يكون نجساً سبعةَ أيام. وكل إناء مفتوح ليس عليه ضمامٌ مشدودٌ فهو نجس، وكل مَنْ لمس على وجه الصحراء قتيلَ سيف أو ميتاً أو عَظْمَ إنسانٍ أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام. فيؤخذ للنجس من رماد حريقِ ذبيحة الخَطاء في إناء، ويُصَبُّ عليه ماء معين. ويأخذ رجلٌ طاهرٌ زوفى ويغمسها في الماء وينضح على الخيمة وعلى جميع الأمتعة والنفوس التي كانت فيها وعلى من لَمَس العظم أو القتيلَ أو الميت أو القبر... وأيّ رجل تنجّس ولم يتطهر تُقطع تلك النفسُ من بين الجماعة لأنّه نجَّس مقدسَ الربِّ[٧] ولم يُرَشَّ عليه ماء النضح فهو نجس. فيكون هذا لهم رسم الدهر...

المفردات:

١ ـ صهباء صحيحة: لا يخالطها لون آخر.

٢ ـ النَّضح: الرش.

٣ ـ رحض: غسل.

٤ ـ ذبيحة خطّاء: الذبيحة التي يتطهر بها الخطاة.

٥ ـ مسكن الرب: هيكل سليمان.

٦ ـ تُقطع تلك النفس من إسرائيل: إما انها تخرج إلى خارج إسرائيل وإما انها تقتل.

٧ ـ مقدس الرب: قدس الأقداس، القدس.